ولقي فيها ما لم يخطر على باله من المشقات لكنهُ ثبت على عزمهِ في خدمة البرابرة والعيشة بينهم الى آخر حياتهُ وابرز في ذلك نذرًا ليقطع عن فكرهِ كل تجربة العدوّ. فمات وهو في عزّ كهولتهِ لا يزيد عمرهُ على ٣٦ سنة

هذه خلاصة اخبار هؤلاء الشهداء الذين مجّدوا الله باعمالهم في الحياة وبموتهم الباسل في سبيل الايمان. وذلك ما حدا بالحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الى ان يُعلن بهم طوبويّين في ٢١ حزيران من العام الماضي. فاستقبل اساقفة كندا وعموم الكاثوليك هذا الانعام بمزيد الشكر واقاموا لذلك مواسم شائقة لذكر هؤلاء الابطال باكورة اولياء الله في اوطانهم. ولا غرو انَّ دماءهم نالت من الربّ بركات عميمة حلّت على بلاد كندا فانَّها بشفاعتهم بلغت اليوم نجاحاً كبيرًا ماديًا وادبياً. وقد ازدهر فيها خصوصاً الدين الكاثوليكي حتى يُعدّ اهلها حاضرًا في مقدّمة الكاثوليك المتمسين في العالم بحبال الايمان المستقيم. فزادهم الله رقياً ونجاحاً وعليهم معقود الامل برجوع الضالين الى الحظيرة البطرسيّة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٧ جرجس الانطاكي النصراني

﴿اخبارهُ ودينهُ﴾ هو ايضاً ممَّن نظمهم العماد الاصبهاني في كتابه خريدة القصر وفريدة العصر (Paris, 1414 ff. 157 et 3330 ff. 157. Leide 881, n° 157) يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً. كان اصلهُ من انطاكية فرحل الى مصر ومارس فيها فنّ الطبابة واشتغل بالفلسفة قال

جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) : « جرجس الفيلسوف الانطاكي نزيل مصر يزعم انهُ قرأ على علماء بلدهِ واستوطن مصر وطبَّب بها »

وهناك وجدهُ ابو الصلت امية بن عبد العزيز لما دخل مصر سنة ٥١٠ هـ (١١١٦م) وذكر في رسالتهِ المصرية التي وصف فيها ما رآهُ في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومَن اجتمع بهم من الاطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من اهل الادب (راجع ابن ابي اصيبعة ٢ : ٢٣)

ودونك ما قالهُ في جرجس الانطاكي كما رواهُ عنهُ جمال الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) وابنُ ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ١٠٦) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٤٨) وكلهم نقلوا كلام ابي الصلت حيث يذكرهُ ويذكر معاداتهُ لطبيب يهودي مصري يدعى ابا الخير سلامة بن رحمون كان يتعاطى مثلهُ الطبابة والفلسفة فكان مولعاً بهجائهِ . وهذا ما كتبهُ ابو الصلت بحرفهِ الواحد قال :

لما دخلتُ الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركتُ بها طبيباً انطاكياً يسمَّى جرجيس ويلقَّب بالفيلسوف على نحو ما قيل في التراب ابو البيضاء وللدَّبغ سليم . وقد تفرَّغ للتولُّع بابي الخير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليهِ وكان يزوِّرُ فصولاً طبيَّة وفلسفيَّة يعرضها في معارض الفاظ القوم وهي مُحال لا معنى لها فارغة لا فائدة فيها ثمَّ ينفذها الى من يسأل ابا الخير عن معانيها ويستوضحهُ اغراضها فيتكلَّم ابو الخير عليها ويشرحها بزعمهِ دون تيقُّظ ولا تحفُّظ باسترسال واستجمال وقلَّة اكتراث واهتبال (ويروى واهمال) فيؤخذ (ويروى : فيوجد) فيها عنهُ ما يُضحَك منهُ »

هذا ما قال ابو الصلت وفي قولهِ « انَّ جرجس الانطاكي لُقِّب بالفيلسوف على نحو ما يقال في التراب ابو البيضاء وللدبغ سليم » تهكُّم ظاهر كانهُ لُقِّب بذلك على عكس المعنى وهو نوع من البديع . ولا نعرف شيئاً من اعمال جرجس المذكور لنتحقَّق صحَّة قول ابي الصلت فيهِ

﴿شعرهُ﴾ لجرجس الانطاكي اقوال في الشعر حسنة وكلُّها في هجو ابي الخير الطبيب اليهودي المذكور . ويظهر من كلام ابي الصلت في حقّ ابي الخير انهُ لم يكن محقّاً بل متشدِّقاً قال عنهُ (طبقات الاطباء ٢ : ١٠٦) : « انهُ كان يكثر كلامهُ فيُضلّ ويُسرع جوابهُ فيزلّ وكان مثلهُ في عظيم ادّعائهِ وقصورهِ عن أيسر ما هو متعاطيهِ كقول الشاعر :

يشعر للّج عز سافو ويذعره الموج في الساحل

او كما قال الآخر :

تثنيتُ مائتي فارسٍ فردّ كمُ فارسٌ واحدُ

وقال ابو الصلتُ : وأنشدتُ لجرجس وهو احسن ما سمعتُهُ في هجو طبيب مشؤوم وانا متّهم له فيه (من السريع) :

انَّ ابا الخيرِ على جهلهِ يَخِفُّ في كفّتهِ الفاضلُ
عليلُهُ المسكينُ من شؤمهِ في بحر هلكٍ ما لهُ ساحلُ
ثلثةٌ تدخلُ في دفعةٍ طَلعَتُهُ والنعشُ والغاسلُ

وقال ابو الصلت : ولبعضهم (يعني جرجس الانطاكي) فيه (من الخفيف) :

لابي الخير في العلا جِدّ ما تُقصّرُ
كلُّ من يستطبُّهُ بعد يومَين يُقبرُ
والذي غابَ عنكمُ وشهدناهُ أكثرُ

ولجرجس في هذا الطبيب (من الطويل) :

جنونُ ابي خيرٍ جنونٌ بعينهِ وكلُّ جنونٍ عندهُ غايةُ العقلِ
خُذوهُ وغُلّوهُ وشُدّوا وثاقَهُ فما عاقلٌ مَن يَستهينُ بمُختَلِّ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقول وَحدهُ فقد صار يؤذي الناسَ بالقول والفعلِ

وقد اردف عماد الدين ابياتاً في هذا المعنى ولم يذكر قائليها ولعلّ منها ما هو لجرجس الانطاكي فمنها :

قُلْ للربا انتَ وابنُ زُهرٍ قد جُزتما الحدَّ في النكايَهْ
ترفقا بالورى قليلاً في واحدٍ منكما كفايَهْ

وقال آخر :

ما خطَر الشيبُ على بالهِ يوماً ولا يعرفُ ما الماءُ
بل ظنَّ انَّ الطبَّ دُرَّاعةٌ ولحيةٌ كالقُطنِ بيضاءُ

وقال آخر في مثلهم :

وطبيبٍ عرَّبٌ ما لهُ بالـ ـنُجْمِ في كل ما يجرِّب عادَهْ
مرَّ يوماً على مريضٍ فقلنا قُرِّعينا فقد رُزقتَ الشهادَهْ

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ

﴿اصلهُ واخبارهُ ودينه﴾ هو الاجل الحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ النصراني القسطوري. قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٤): «كان طبيبَ الدولة العبَّاسيَّة في زمانهِ ويستشار برأيهِ ولهُ الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة. واتَّفقت لهُ سعادة جدٍّ حتى كسب الاموال وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م)».

قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء ١: ٢٧١): كان معتنياً (ويروى: متميِّزاً) في العلوم الحكميَّة، متقناً للصناعة الطبيَّة، متحلياً بالادب، بالغاً فيهِ اعلى الرُّتب، وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب، كلٌّ منهم متعلِّق بالفضائل والآداب، وقد رأيتُ بخطِّ الاجلّ معتمد الملك يحيى ابن التلميذ ما يدلُّ على فضله وعلوّ قدرهِ ونُبلهِ، وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطبّ ولهُ تلاميذ عدَّة

﴿شعرهُ﴾ لم يكن يحيى ابن التلميذ طبيباً نطاسيًّا فقط بل كان ايضاً شاعراً مُجيداً. قال الملك المنصور صاحب حماة (Ms Leide 884, p. 340): «يحيى ابن التلميذ الحكيم كان يلقَّب معتمد الدولة وكان فاضلاً اديباً وديوان شعره مشهور». ومنهُ يتَّضح انَّ شعرهُ كان وافراً حتى جُمع في ديوان ولم نجد لهُ ذكراً في احدى مكاتب حواضر البلاد ولا عند الخاصَّة والعامَّة. وانَّما ذكر لهُ الادباء عدَّة مقاطيع جمعناها في ما يلي. فمن شوقيَّاتهِ قولهُ نقلاً عن احدى مجموعات باريس (Paris, Ms 3412, ff. 32v) (من البسيط):

اللهُ ابقاكَ للدنيـا وللدينِ ولا يُخَلِيكَ من عزٍّ وتمكينِ
روحي بروحك مَمزوجٌ ومتَّصلٌ وكلُّ عـارضةٍ تُوْذيكَ تُوْذيني

ولهُ فيها (35 ff.) :(من الخفيف) :

أنعِما بالوَصل أيا الفَرْقـدانِ وأسلَما من صروف هـذا الزمانِ
كم أشتَّ الفراقُ بين حبيبٍ وحبيبٍ وانتما تَصْحبـاني
وستُفضي اليكما عن قريبٍ نَوْبـةُ البَين ثمَّ تفترقـانِ

وروى لهُ في هـذا المعنى صاحب الايضـاح على المفتاح (ص ١٤٨) (من السريع) :

بدا الينا أرَجُ القادمِ فبرَّد الغُلَّـةَ من هـائمِ (١
روَّح عن قلبي على نأيـهِ وقد يَلَذُّ الطَّيفُ للحالمِ

ورُوي لهُ في النزل في طبقات الاطباء (من المتقارب) :

فراقُكَ عندي فراقُ الحياةِ فـلا تَجْمِرنَّ على مُذنِفِ
عَلِقْتُكَ كالنار في شَمْعها فا إن تُفارِقُ او تَنطفي

ومن ظريف اقوالهِ قولهُ في دار جديدة بناها سيف الدولة صدَقةُ وقعت فيهـا النار يوم فراغهِ من بنائها (من الكامل) :

يا بانياً دار العُلى مُتَأنِّياً (٢ لِتزيدَها شرفاً على الـكِيوانِ
عَلِمَتْ بأنك انَّمـا شَيَّدْتَها للمجدِ والإفضالِ والإحسانِ
فَقَقَتْ عوائدَك الكرامَ وسابقَتْ تَستقبلُ الاضياف بالنيرانِ

١) رواية ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٧٠) : من حاتمٍ
٢) ويروى : لِمُثَنِّها. رملَّاعا

وقال في المعنى (من الكامل):

عَلِقَ الفؤادُ (١ على خُلُوّ حبّها عِلْقَ الذُّبالةِ في حشا المصباحِ
لا يُستطاعُ الدهرَ فُرْقةُ بينهم إلّا لحينِ تفرُّق الاشباحِ (٢

وقرأنا لهُ في بعض المجاميع المخطوطة في مكتبتنا الشرقيّة (من المنسرح):

إرْضَ لمن غابَ عنك يكبرهُ فذاك ذنبٌ عِقابُهُ فيهِ
لو لم يَنَلْهُ من الجفاء سوى بُعْدِكَ عنهُ لكان يكفيهِ

وقال في هلاك الظالم (من الخفيف):

واذا أَنبتَ المُهيمنُ للنمـ ـم جَناحاً أَعدّها للتَّردّي
ولكلّ امرئٍ من الناس حدٌّ وهلاك الفتى جَوازُ التعدّي

ولهُ ايضاً وفيهِ اشارة منطقيّة (من الكامل):

تَعِسُ القياسُ فلِلْزام قضيّةٌ ليستْ على نَهجِ الحِجى تَنْقادُ
منها بقاءُ الشَّوقِ وهو بزَعْمهم عرَضٌ وتَفْنى دونهُ الأَجسادُ

وروى لهُ الدميري في حياة الحيوان (٢ : ٣٢) قولهُ في تشبيه السَّمك وضرر النسيم بها (من المتقارب):

لَبِسْنَ الجواشِنَ خوفَ الرَّدى عليهنَّ من فوقهنَّ الحُوَذْ
فلمّا أُتيحَ لها أُهلكت ببَرْد النسيمِ الذي يُستَلَذْ

ومن هجوه ما قالهُ في مُغَنٍّ (الرجز):

---

١) وفي طبقات الشعراء: قَلِقَ الفؤادُ . . .
٢) وروى: لا يستطيعُ الدهرُ . . . تبلُّجَ الإصباح

لنا مغنٍّ ان شدا تدفئنا ثلوجهُ
فموتُنا خروجهُ (١ وبعثنا خروجهُ (٢

وليحيى ابن التلميذ عدّة الغاز بالشعر من ذلك ما اخبر بهِ عليّ بن يوسف بن ابي المعالي سعد بن علي الحظيري قال: وجدتُ بخطّ الرجل الحكيم معتمد الملك يحيى ابن التلميذ لنفسهِ لغزًا في الابرة وخيطها (من الوافر):

وفاغرةٍ فماً في الرجل منها ولكن لا تُسيغُ بهِ طعاما
ومُخطِفَةِ الحشا في الرأس منها لسانٌ لا تطيق بهِ الكلاما
تصول بشوكة تبدو وسُمٍّ (٣ وما مَن ذاقهُ يَردُ الحِماما
تجرُّ وراءها ابدًا اسيرًا كما قادت يدُ الحادي الزِماما
منيعاً ذا قوًى لكن تراهُ بقبضتها ذليلًا مُستطاما
فتُلقيهِ بمجلسها مقيماً طوالَ الدهر لا يأبى المُقاما
أيا عجباً لها سوداء خُلقاً تُريك خلائقاً بيضاً كراما
غدَتْ عُريانةً عن كلّ لَبسٍ وفاضلُ ذَيلها يكسو الأناما

وقال ملغزًا في قوس رواهُ عماد الدين في خريدتهِ (من الوافر):

وما ذو قامةٍ ذاتِ اعوجاجٍ يَئِنُّ وينحني عند الهياجِ
لهُ المكرُ الجفيُّ مع التَّمطّي كمَكرِ الراحِ في القدَحِ الزُّجاجِ

وروى لهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٦) لغزًا في الظلّ (من الطويل):

---

١) خروج المغنّي ان يَمُدَّ صوتهُ في الغناء ويُخرجهُ في الايقاع . يريد انهُ اذا فعل ذلك يموت السامعون من قبح صوتهِ ٢) اي اذا خرج عادت الينا الحياة
٣) سُمّ الابرة خرمُها

وشيء من الاجسام غير مجسَّم لهُ حركاتٌ تارةً وسكونُ
اذا بانتِ الانوارُ بانَ لناظري وامَّا اذا بانت فليس يبينُ
يتمُّ اوانُ كونهُ وفسادُهُ وفي وسط مَحياهُ المُحاقُ يكونُ

وللشريف ابي الملاء محمَّد بن الهبارية قصيدة مدح فيها يحيى ابن التلميذ وكان ابو الملاء قد اتاهُ الى اصبهان فحصَّل لهُ يحيى من الامراء والاكابر مالًا جزيلًا: وفيها يقول:

وجميعُ ما حصَّلتُهُ وجمعتُهُ منهم وكنتُ لهُ بشعري كاسبا
نفسي ابي الفرج بن صاعدِ الذي ما زال عني في المكاسبِ نائبا
هو لا عدمتُ علاهُ حصَّل كلَّما أمَّلتُهُ ورَعى فكنتُ الخائبا
يحيى بنُ صاعدِ بنِ يحيى لم يزل للمكرُمات الى جنابي جانبا
ما زال يُنعشني نداهُ حاضرًا وينوبُ عني في المطالبِ غائبا
في باب سيف الدولة ابن جانها وكذا نصير الدين كان مخاطبا
كاتبتُهُ بحوائجي وهززتُهُ فوجدتُهُ فيها الحسامُ القاضيا
ما زال يغرسني يداهُ ولم أزل بنلاهُ ما بين البريَّة خاطبا

ومنها:

لا زلتُ أُثني بالذي اوليتَني وعلى المديح محافظًا ومواظبا
وبقيتَ لي ذُخرًا ودمتَ ممنَّعًا بالمجد للأبرادِ منهُ سالبا
ثقةَ الخلافة سيِّد الحكماء مشدَّ م الملوك الفيلسوفَ الكاتبا

فيستفاد من هذا المديح ما كان عليهِ يحيى ابن التلميذ من المنزلة العالية عند الخلفاء وكبار الدولة ثمَّ قيامهُ بخدمة الادباء كابن الهبارية. واقامتهُ مدَّة في اصبهان. ويحيى ابن التلميذ هو جدُّ امين الدولة هبة الله الشهير بابن التلميذ الآتي ذكرهُ

(لهُ تتمَّة)